مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

طرق ومسالك أركاب الحج المغاربية بالجزائر العثمانية

Routes and Itineraries of the Maghreb Pilgrimage Passengers in Ottoman Algeria

د/سعاد آل سيد الشيخ
Souad AL Sid Chikh
جامعة غرداية (الجزائر)
dohaislam@gmail.com

الارسال: 22/02/22 القبول :22/04/03 النشر:2022/04/16 المرسل: سعاد آل سيد الشيخ

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز الدور الفعال الذي تميّزت به كتابات الرحالين المغاربة في إبراز أهم طرق ومسالك أركاب الحج المغربية بالصحراء الجزائرية والطرق السهلة والوعرة بهذه المناطق الصحراوية، إلى جانب محطات عبور ركب الحج الجزائري بالمناطق الداخلية للجزائر أين تجتمع جموع الحجيج من أقصى الغرب الجزائري إلى مشرقه وتنطلق في موج واحد إلى البقاع المقدسة، إذ شكّلت هذه الرحلات حلقة متينة لتسليط الضوء على أهم الحواضر والمدن الجزائرية التلية منها والسهبية والصحراوية إبان الفترة العثمانية.

الكلمات الدالة : الجزائر العثمانية، الرحالة، ركب الحج، الطريق، المسلك، الصحراء

Abstract

The current paper aims to shed light on the significant role that writings of the Maghreb nomads have on highlighting the most important routes and itineraries of Maghreb pilgrimage passengers in the Algerian desert and the easy and ragged roads in these desert regions as well as the transition stations in the interior regions of Algeria, where the pilgrims from far east and west gathered and departed in one wave to the holy sites. These trips formed a solid episode to shed light on the most important Algerian urban cities during the Ottomon period. To demonstrate this, it was necessary to stand on some general concepts associated with Maghreb pilgrims that passed through the Algerian lands during the Ottoman era, along with the Algerian pilgrims during the studied period.

Keywords .Ottoman Algeria, nomads, pilgrimage passengers, rout, itinerary, desert

مقدمة:

تتضمن تنوعت مسالك وطرق أركائب الحج المغاربية بصفة عامة والجزائريين بصفة خاصة باتجاه البقاع المقدسة، واختلفت من عصر لأخر، وهذا تبعاً لظروف كل عصر ومن دولة لأخرى. ففي العصر الحديث تم التوجه لأداء فريضة الحج في الجزائر العثمانية باتخاذ طريقين الطريق البحري؛ حيث تخرج سفن قاصدة مكة المكرمة عن طريق الإسكندرية. أما الطريق البري فيتم بواسطة قوافل أركاب الحج الجزائرية منها والمغربية، والتي كانت تضم جموع الحجيج من مختلف جهات الإيالة، وقد تشعبت الطرق وتعددت المسالك باختلاف جهات أهلها، ولكن تميزت ثلاث طرق رئيسية جذبت الحجاج والتجار إليها من كل حدب وصوب، فربطت بها الرواحل واستقر بها مائل الأسفار لجملة من الخصائص طبيعية منها وإقتصادية وحتى اجتماعية وثقافية وأحياناً سياسية لا نغفل ذلك. قد يستعذب البعض منها ولكن لا مفر من مذاق الدواء إن كان به الشفاء. ومن هذا المنطلق فأي الطرق وأي المسالك شدت لها ميول الجزائرين والمغاربة بالجزائر في الفترة الحديثة حتى يكون من خلالها المسار لأرض الحجاز؟، ويكون من خلالها الظفر بجنان الحصاد من مغانم أداء الركن الخامس من أركان الإسلام.؟

- **طرق ومسالك ركب الحج الجزائري بالإيالة الجزائرية:**

1/ - الطريق البحري :

لن نطيل المقام ونكثر الكلام عن هذا الجانب باعتبار أن المرتكز في الدراسة طرق ومسالك أركاب الحج بالجزائر خلال العهد العثماني. ولأن الرحلات البحرية منطلقها في الغالب من مدينة الجزائر فقط ثم تتجه نحو الإسكندرية ثم تنحني في وجهتها نحو مدينة جُدة أقرب الموانئ لمكة المكرمة، فلهذا نذكرها على سبيل الإشارة فقط. ولكن نلفت الانتباه إلى أن هذا الطريق هو الطريق المفضل لدى أغلب الحجاج لولا مانع القرصنة وغياب الأمن في بعض الأحيان. فكان الحجاج يتحاشونه مخافة الأسر والقتل في البحر ويلجئون لطريق البر، وقد أشار الورثلاني لمجموعة تضم حوالي ثلاثمئة حاج من بجاية والمسيلة وجبل زواوة تجمعت بزوايته[1]، ثم انطلقت من هناك مارة بقسنطينة، ثم تونس للسفر منها عبر البحر، فكادت أن تغرق سفنهم بسبب القراصنة المسيحيين[2].

ومن الرحالة الذين امتطوا عنان البحر وركبوا أمواجه لأداء فريضة الحج الرحالة أبو راس الناصري وأحمد المقري؛ لأنه أقل إرهاقاً وتكلفة من الطريق البري[3].

ولقد كان الإعلان عن الرحلات البحرية في مدينة الجزائر بمجرد أن تحضر إحدى السفن للإبحار إلى الإسكندرية، ينادي المنادي معلناً عن ميعاد إقلاعها، فيقوم من أراد الحج بتجهيز نفسه إلى السفر، وقد كلف بمهمة الإشراف على الرحلات الحج البحرية إدارة البايلك وكبار الموظفين والأعيان، حيث يتم استئجار سفن عثمانية أو جزائرية أو سفن أوروبية، لنقل الحجاج وصرة الحرمين الشريفين[4]. ومن تلك السفن

السفينة الجزائرية التي كانت تحت قيادة الرايس حاجي محمد بن غانم عام(**1104**هـ/**1699**م)، ورحلة جوزيف يتس عام **1085**هـ/ **1680**م[5].

2/ - الطريق البري:

لا يمكن الحديث عن وجود منظومة مواصلات مهيأة قائمة في الجزائر العثمانية، مثلما كان عليه الأمر في بعض الدول الأوروبية، أو حتى بعض الأقاليم العثمانية، لان التركيز الرسمي كان منصباً على الطرق التجارية الكبرى الرابطة بين عواصم البياليك، مروراً بالمدن والحواضر الجزائرية المشهورة آنذاك. والتي عرفت باسم " الطرق السلطانية، بينما تباينت مسارات ركب الحج نظراً لتباين الجهات التي كان ينطلق منها، والنقاط التي كان يمر بها، وعليه يمكن إحصاء ثلاث طرق رئيسية للركب، تصب جميعها في مداخل إيالة تونس أو إيالة طرابلس الغرب وهي كالتالي[6] :

أولاً: الطريق التلية "العرضاني ":

وهي الطريق الشمالية لركب الحج الجزائري، بدءاً من مدينة تلمسان غرباً، مروراً بمدينة الجزائر دار السلطان، وصولاً إلى قسنطينة شرقاً، ومنها يلج الركب البلاد التونسية لاحقاً. وقد نظم ابن مسايب التلمساني معظم محطات هذه الطريق الأفقية (أو العرضانية كما كانت تسمى) في رحلته الحجازية، وذكر أن الركب كان يستريح فيها ويزور معالمها وأعلامها. وهي مرتبة كما يلي: ...، تسالة، تليلات، يلل، جديوية، مجاجة، واد الفضة، العطاف، مليانة، متيجة، البليدة، بوفاريك، الجزائر، أربعاء، بني سليمان، برج حمزة، بني منصور، البيبان، مجانة، قصر الطير، سطيف، ميلة، قستطينة، واد الشارف، ....وصولاً إلى مشارف مدينة الكاف التونسية[7].

كان هذا عن الطريق الرئيسي من الطرق التي يمكن إحصاءها لأركاب الحج المغاربية واستنادا لما ورد في الرحلات الحجازية وتتبع مسارها، قد يقع الاتفاق والاختلاف بين الرحالة الجزائريين حول عدة نقاط منها: نقطة الانطلاق، كذلك الطرق المتبعة أو مسار الرحلة، ثالثاً ذكر المدن والمواضع التي وطئوها واستقروا بها مؤقتاً. فانطلاقة الرحالة الجزائريين كانت متباينة تبايناً تاماً أو جزئياً وهذا التباين من منطلق المولد أو الإقامة أو مسكن الرحالة، فمثلاً انطلق الورثلاني من بني ورثلان[8]، بينما انطلق المجاجي من مجاجة[9]، والمصعبي من " بني يسجن"[10] غير أنها تشترك في معظمها في المسار مع المحطات الكبرى لإركاب الحجيج.

لكن هناك سؤال مهم يطرح بإلحاح، هل كان هناك أكثر من ركب حج جزائري؟، والإجابة عن هذا السؤال نجدها مع العياشي[11] والورثلاني يؤكدان على وجود ركب حج واحد، غير أن طريق قوافل الحج تختلف باختلاف منطلقاتها من الجزائر، لتلتقي في نقاط تجمع واحدة ثم تخرج بعد ذلك جملة واحدة فالورثلاني وحجاج بلاد القبائل نجدهم ينطلقون من " زمورة" إلى " وادي بوسلام" متجهين نحو الجنوب إلى قصر الطير، حيث يتجمع أغلب حجاج القطر الجزائري، قاصدين مدينة بسكرة للسير على طريق قافلي كبير حيث تلتقي قوافل الحجيج القادمة من جميع أنحاء القطر الجزائري من غريس ومعسكر والمدية ومزونة والبليدة، الجزائر، زواوة، بجاية، مسيلة مدينة حمزة إلى جانب أهل الزاب[12] وعنابة فمدكالة،

قسنطينة وبسكرة وسيدي عقبة وغيرها ليزداد الركب ضخامة في العدد والعدة، لتواصل القوافل مسيرها نحو المشرق، مارة بسيدي عقبة والزرائب (زريبة الوادي وزريبة حامد)، وتوزر فقابس وعرام وصولاً لساحل طرابلس، تاركة إلى الجنوب جبل نفوسة، وإلى الشمال الجبل الأخضر، وكذلك صحاري برقة الشاسعة فهذا الخط هو الطريق الأساسي المحتم لقوافل الحج نظراً للطبيعة الجبلية للبلاد، وثانياً لاستعمال الإبل كوسيلة أساسية للترحال[13].

أما عن وسيلة السفر المعتمدة للحجاج في هذا الطريق فمعظمهم من أصحاب البغال والحمير[14]، إلى جانب الخيل والإبل[15] القوية القادرة على تحمل الصعاب، ولكن أصحاب الدواب الضعيفة يضطرون لبيعها في قسنطينة وشراء الإبل من أسواقها، أو مواصلة السير بها وتستبدل من طرابلس بجمال قوية إما بالشراء أو الكراء للتحمل مشاق صحراء برقة ودرب الحجاز[16]، وقد تشترى من بولاق في مصر وقد نعتها المجاجي بالعلجة، إلى جانب المشي على الأقدام عند بعض الحجاج:

وَوَدَّعَ كُلُّ مَنْ بِرَكْبِنَا مَاشِيًا عَلَى رِجْلَيْهِ يَمْشِي وَفِيهِ عُجُوبَة[17]

وأما فيما يخص طبيعة المسير فقد كان مسير الركب متبايناً ما بين السرعة والتباطؤ وأحياناً التوسط فيه؛ حسب طول المراحل ووجود الماء وفصول السنة؛ كما كانوا يأخذون في اعتبارهم عند المسير أمن المناطق التي يمرون عبرها فيجتنبون بقدر المستطاع المناطق المعروفة بوجود قطاع الطريق، وإن اضطروا للمرور منها أخذوا بأسباب الحيطة، خيفة من أي سطو أو اعتداء وقد ذكرَ هذا الأمر المجاجي في الطريق الرابط بين مليانة وشلف بأرض الجزائر، أين حمد الله على نجاتهم منها بسلام:

هبْطنَا بِرفْقٍ حَتىَّ وَطِيْنَا عِيـرَنَا لأَرْضِ بِلاَدِ القَاطِـــعِيَن الطَرِيقَةَ[18]

وبسبب صعوبة تضاريس هذه الطريق وكثرة شعابها ووديانها، فإن ركب الحج كان يسير فيها سيراً بطيئاً نوعا ما، لا يكاد يتجاوز مقدار المرحلة الواحدة في اليوم الواحد، ودليل ذلك أن معدل المسير من تلمسان إلى مدينة الجزائر، كان في قرابة اثني عشر يوماً، ويبلغ الركب مدينة قسنطينة قادما من مدينة الجزائر، على اثني عشر مرحلة، بمعدل مسير يقارب أحد عشر يوماً، أي بقطع مرحلة واحدة في كل يوم تقريباً، وبإضافة المراحل ما بين قسنطينة وحدود الإيالة التونسية، فيستنتج أن المعدل العام في المسير الكلي من أقصى غرب الجزائر إلى أقصى شرقها في هذه الطريق، ما يقارب شهراً في المسير[19].

أما عن وقت مسير الركب فغالباً ما يكون بالنهار، ويعضّد هذا ما جاء في الرحلة كقوله:

وَعِنْدَ صَبَـاحِ الحَالِ حَثيْنَا عِيرَنَا لِدَارِ شَفِيعِ الخَلْقِ كَهْفِي وَعُمدَة
أقَمْنَـا بِهَا يوْماً وَثُمَّ ارْتَحَـلنْا فِي صَبَـاحِ النَهَارِ تَغْليساً فِي بَكُوَرة
وَعِندَ الصَبَاحِ مِنَهُ أَتمَمنَا قَصْدَنَا لأَوْلادِنَا وَالأَهْلِ ثُمَّ القَـــرَابَةِ[20]

كما أن الركب قد ينعطف أحياناً بعد قطع نصف هذه الطريق باتجاه الجنوب الشرقي، وذلك من محطة برج حمزة(البويرة)، مروراً بمنطقة الحضنة(المسيلة)، وصولا إلى بسكرة، متحولًا إلى " الطريق العرضانية" الوسطى أو طريق السهوب[21].

ثالثاً: الطريق العرضاني الأوسط (بسهوب شمال الصحراء الجزائرية):

يبدأ مسار هذا الطريق بالنسبة لإركاب الحج المغربية من مدينة سجلماسة بالمغرب الأقصى إلى حامة بلاد الجريد، كما يعتبر من أخصب الطرق المناسبة للحجاج في أسفارهم بالصحراء الجزائرية، فهي ذات مرعى وكلأ وفير وهي من أشهر الطرق الحجية المار أفقياً بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي [22].

وكما أسلفنا فهو من أفضل الطرق للأركاب المغربية السجلماسي والمراكشي والفاسي والشنجيطي(الشنقيطي)[23]، وقد سلكه كل من أبي محلي السجلماسي في حجته الأولى سنة **1000**هـ/ **1592**م وأبو سالم العياشي سنة **1072**هـ/**1661**م، وأبي علي اليوسي في رحلة **1095**هـ/**1684**م وأحمد بن ناصر الدرعي **1121**هـ/**1709**م، وابن الطيب الشرقي الفاسي سنة **1139**هـ/ **1727**م، وأبو العباس الهلالي السجلماسي سنة **1150**هـ/ **1737**م، والحضيكي سنة **1152**هـ/ **1739**م، ومحمد بن عبد السلام الناصري سنة 1196هـ/ 1782م[24] وغيرهم.

فهو يبدأ كما أسلفنا الذكر من سجلماسة إلى القنادسة (أو العونية) ثم فقيق وكزاز، بسمغون[25]، الغاسول، عين ماضي[26]، تجموت، الأغواط[27]، العسافية، سيدي خالد، أولاد جلال، طولقة، بسكرة، وهي قاعدة بلاد الزاب، سيدي عقبة، الزرايب (زريبة حامد وزريبة الوادي)، خنقة[28] سيدي ناجي، واد غسران...، وصولاً إلى الشبيكة مدخل البلاد التونسية وهي أولى المحطات الخارجية المهمة في رحلة الأركاب المغاربية كلها[29].

ومن مميزات هذا الطريق والذي عج بالقوافل الحجية والتجارية على حد سواء؛ أنه طريقه أفقي مستقيم فلا تتيه في الرواحل، بالإضافة لسهولة المسير فيه لأن أرضه منبسطة في أغلبها كما تقل رماله مقارنة بالطريق الصحراوي الجنوبي، فيقطعه ركب الحج المغربي في حدود 40 يوم، مقارنة مع الطريق الجنوبي الذي يقطعه الركب في 80 يوما أو أكثر.كما اشتهر هذا الطريق بكثرة الماء وتعدد المنابع والعيون وكثرة الوديان التي تعتبر محل توقف الحجاج لتزود والشرب، فلا نجد رحلة إلا وذكرت حاضرة من حواضر الصحراء في الطريق العرضاني الأوسط وعن معاطن المياه ونوعيتها بين عذوبتها وأجاجتها[30].

أما عن الأسواق التي كانت تقام على طول الطريق سواءً في المدن والحواضر التي تمر عليها الأركاب المغاربية أو الأسواق الجانبية التي كانت بين الأعراب وركب الحجيج للتزود والانتفاع بين الطرفين، فقد ازدهرت وأضحت مراكز استقطاب للتجار من داخل الجزائر وخارجها، حيث نجد كل الرحالة المغاربة يتكلمون عن الأسواق التي تقام بين الأعراب والأركاب[31].

أما عن الأسباب الداعية لتعريج ركب الحج على هذه المنازل، فهي إما لأخذ قسط من الراحة والتزود بالماء والمؤونة[*]، وإما لشراء السروج للخيل، والعلف للدواب، وإن صادف وحطت الركاب ببلاد خصيبة فعادة ما كانوا يرعون فيها عيرهم. والكلام نفسه يقال عن المدن الكبرى، حيث كان الحجيج يحصلون منها منافع كثيرة وبخاصة التجارة وحلق العلم ولقاء الصالحين والتبرك بالمزارات، وتلك هي السمة الغالبة على أرض المغرب، حيث كان الضيوف يكرمون من أول نزولهم بها[32].

أما وسيلة النقل في تلك الدروب يفصل فيها أبو العباس الدرعي في هذا، فيقسم ركائب الحج، إلى قسمين منهم ركب حج الإبل، الواردين على الصحراء القادمين من المغرب عامة المارين بطرابلس، فيتأخرون بها،

ويستصحبون معهم جل ما يحتاجون من الإبل وقِرب الماء آخذين بذلك الحيطة في الزاد، كما يوجد ركب آخر هو ركب البغال والحمير، والذين يطولون الإقامة بطرابلس، فقد تصل إلى شهرين أو أزيد لبيع الدواب، وشراء ما تقدم ذكره من الإبل والقرب، فكانوا يستأنفون سفراً آخر غير السفر الذي كانوا فيه قبلاً، ولذلك تجد كثيراً من لم يتقدم له الحج يشق عليه الخروج من طرابلس أكثر من الخروج من بلده[33].

أما عن أهم الصعوبات بالطريق العرضاني الأوسط نوجزها فيما يلي: فقد اعترضت الأركاب المغاربية المارة على الطريق الصحراوي (العرضاني الأوسط) عدة صعوبات، سواءً كانت طبيعية أو بشـــرية متعلقة بطـبيعة التضـاريس أو تساقط الأمطار أو غيرها، فكثيرًا ما صور لنا الرحالة صعوبة المسالك بهذا الطريق حيث يقول السجلماسي:".. بعد أن كابدوا في طريقهم الحجارة والرمل وما يضعف على الاحتمال واكتلئت فيه النعال والجمال"[34]، يؤكده عبد السلام الناصري أيضاً في قوله: "..ثم ارتحلنا ووقعنا في سبخة عظيمة ما تعديناها حتى قارب الزوال"[35]؛ ونفس الوصف سجله ابن الطيب الشرقي في منطقة بسكرة، حين تهاطلت عليهم أمطار غزيرة، وغمرتهم مياه الوادي حتى أتلفت الكثير من المتاع[36]. وأحياناً تفيض الأنهار وتشكل أودية جارية فيضطرون إلى اجتيازها بصعوبة حفاة الأرجل، وهذا ما حدث للمجاجي وركبه في المناطق الرابطة بين بسكرة ومقرة في الطرق الفرعية الموصلة لبسكرة:

وأصبحنا منها راحلين تعديا على كل نهر فائض بعسيفة[37]

كما يصف نوعاً آخر من المصاعب ترتبط بطبيعة الأرض التي يمشون عليها، فتارة تكون صخرية وتارة أخرى تكون ضيقة المسالك، لأنها أراض جبلية تجعل الحجاج وكأنهم في دوامة يشق فيها مشي البشر فما بالك بالعير، وهذه الحالة هي الأخرى تفرض عليهم التخلي عن العديد من الرواحل، فإذا خرجوا منها حمدوا الله على ذلك ونستدل في هذا بقوله:

فَيَا لَهَا مِنَ طَرِيق صَعْبٍ سُلُوكهَا أَصَابَ الحُجَّاجَ فِيهَا عُسرٌ وشِدَّةٌ

وَسِرْنَا أَيْضاً مِنْ ثَمَّ طُولَ نَهَارِنَا دَخَلْنا جَبَلاً لَيْسَتْ فِيهِ سُهُولَة

ندوُرُ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ وَلَمْ نَجِدْ فِيهِ فَسْحَةً حَتَى نَزَلنَا بِكُلفةٍ[38]

أما عن المعيقات البشرية فقد كان أهمها ظاهرة انتشار السرقة واللصوصية، فهذا الطريق كما أسماه ابن أبي محلي بطريق الصعاليك[39] ؛ فقد امتهنت فيه بعض القبائل من ناحية الظهرا مهنة اللصوصية بسبب الحاجة، مثل قبيلة العمور، فتسلطوا على أرازق الناس، فسلبوهم الزرع والماشية وكل ما له قيمة، كما حدث مع قرية الكراكدة نواحي البيض، إلى جانب زرع الذعر والرعب في بقية القرى كربا وبوسمغون وغيرهم[40]، كما شاركهم هذا الخوف أركاب الحج المستهدفة من قبل قطاع الطرق، وهذا الموقف تكرر كثيرا بمشاهد الرحالة المغاربة مثل: السجلماسي بشكل كبير والناصري من تخوف أهل القرى من أعراب النواحي بسبب تفشي ظاهرة السرقة والسطو من قبل الأعراب وبعض القبائل التي امتهنت اللصوصية كأولاد صولة وبوعكاز بنواحي الزاب[41] يصفها السجلماسي بأنها كانت تجارة عندهم:" فقد اتخذ أقوام من يمر بهم الركب سرقة الحجاج تجارة عظيمة، حتى أنهم على ما قيل يتداينون عليها، كما يتداين الناس على غلاتهم نسأل

الله السلامة والعافية"، ومن الأسر البارزة ببايلك الشرق والتي أمتهنت حرفة اللصوصية كما أشرنا والتي جاء ذكرها في كتب الرحالة المغاربة، أسرة بوعكاز الدواودة شيوخ العرب وحكام الصحراء، فقد ذكروا بصورة مرعبة عند الرحالة المغاربة لا يمر بساحتهم إلا بشق الأنفس، وذلك ما صرح به كل من العياشي في منتصف القرن السابع عشر والسجلماسي في المنتصف الأول للقرن الثامن عشر و ابن بحمان المصعبي في نهاية القرن الثامن عشر وكلهم تشاركوا نفس الهواجس والمعاناة من قبيلة بوعكاز بمنطقة الزيبان، وقد شاركتهم مهنة الظلم والسطو على الحجاج قبيلة صولة كما وصفهما المصعبي في قوله:

كــأولاد عــكاز وأولاد صــولـة وغيرهم من كــل طاغ معادياً[42]

وحتى التجارة لم تسلم من بين أيديهم في المناطق التي تربط السهوب بالصحراء خصوصاً، وما ساعدهم في التسلط على التجار المشاكل التنظيمية التي عانت منها قوافلهم، منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، إذ كان من الصعب على من يريدون المرور بتجارتهم عبور القسم المركزي من الأطلس الصحراوي، من خلال الطرق المباشرة خاصة تلك التي تربط الجلفة بواحات وقصور الأغواط، فكثيرا ما كانت قبائل أولاد نائل وقبائل الارباع لكي تمر قوافلها بسلام، لابد لها من الدخول تحت حماية ورعاية شيوخ القبائل المتواجدة في الطريق التي عادة ما تكون مسلحة ولها نظام حماية قوي، بسبب انتشار قطاع الطرق واللصوص من المخاليف المتسكعون في تلك المسالك، وكانوا يقيمون فيها مراكز لبيع الغنائم المسلوبة، وقد يدخلون بها إلى سوق زنينة وسوق مسعد، فهذا الواقع المرير للحركة جعل القبائل الرحالة تسلك الطريق الوحيد الأمن وهو طريق ملتوي من الجبل لزرق من الغرب ويمر من منطقة الشارف فعوينات ثم الحاجب إلى واد مزي[1].

ثانياً: طريق الحج الصحراوي الجنوبي:

سمي هذا الطريق بطريق الواحات وطريق الصحراء وكليهما صائب فهو يمر بالواحات الصحراوية، كما يسميه الحجاج القادمون من بلاد التكرور بالطريق الوسطانية، ربما لأنها تتوسط طريق حج الأفارقة وطريق الهضاب المشورة [43]. كما يعتبر من أصعب الطرق الصحراوية بالنسبة للحجاج المغاربة نظراً لتباعد المراحل بين محطاته إلى جانب صعوبة تضاريسه، ولكن مع ذلك له أهمية بالغة لدى أركاب الحج المغربية إلى جانب القواقل التجارية الصحراوية؛ وتكمن تلك الأهمية أنه أكثر حركية في نشاطه الاقتصادي[44]، وخاصة في جزءه الغربي لأنه يحتوي على شبكة من طرق القوافل التجارية بالإضافة لأنه طريق آمن باعتبار أن أغلب طرقه تحت سيطرة قبائل المنطقة لحمايته من اللصوص، كما تكثر فيه مراكز البيع والشراء مما يضمن التزود بالمؤن والسلع.

ومسار هذا الطريق ينطلق من سجلماسة في خط سير أفقي نحو إقليم توات مرورًا على قرى وادي الساورة، والتي تعتبر مركز أساسي تعبره القوافل الحجية والتجارية لما يتميز به من أسواق ورخص السلع والمبادلات التجارية، ولما يصل الركب إلى توات ينقسم إلى فرعين طريق علوي وهو الذي سلكه أبو سالم العياشي أما عن الطريق السفلي فقد سلكه ابن مليح السراج ولكل طريق ما يميزه.

أ- **الطريق العلوي:** يتميز هذا المسك بكثرة الحمادات وبوجود أحجار مبنية على مقاطع معينة من الطريق تغني عن كراء الدليل[45]. يبدأ هذا الطريق بدقة من سجلماسة ثم عين العباس والرفاعية ليدخل صحراء الجزائر من واد الأساور " الساورة" ثم طاية الحمار، صم واد جير ليمر بقرية اجلي وهي أولى قرى واد الساورة، ليصل إلى قرية مازر وبني العباس، ثم قرية بشير وصولاً إلى موقع فم المدفع، ثم قرية بني خلف ونزل الركب بزاوية سي أحمد بن موسى، تسابت، توات، ثم أوكريت (أوقروت) وهي من بلاد تيجورارن، ثم أولاد محمود، واد امكيدن، قرية والا، القليعة(المنيعة)[46]، زيرارة، الجديد، الحمد، واركلا(ورقلة)[47]، امكوسة(انقوسة) وادي ريغ، بلدة اكرك، تماسين، تكرت(تقرت) قاعدة وادي ريغ، سوفا(وادي سوف)، ماء الرياح، العندا، نفزاوة أولى مدن المغرب الأدنى، وهذا الطريق سلكه العياشي في ذهابه إلى الحج وهذا الطريق يعتبر الشطر الأول من الطريق الصحراوي.

ب- **الطريق السفلي:** أما الشطر الثاني للطريق الحج الصحراوي الجنوبي فيمر عبر توات، حيث يأخذ طريق دغامشة[48]، ثم بلاد ايقسطن، ثم أقروت ثم صحراء ازكر التي تعبر صحراء طويلة وشاقة لا يقطعها الركب إلا في 50 يوم[49]، وهي الطريق الذي مر منه ابن المليح في ذهابه إلى الحج. أما في طريق عودته سلكو طريق تيديكلت[50] إلى أن بلغوا وادي رسم الليل وتركوا طريق الذهاب إلى اليمين لشدة حروشتها وجذبها وقلة مائها وبعدها عن العمران[51]، بحيث يقع طريق العودة أسفل توات طريق آن صالح (عين صالح) [52] وصولاً إلى درعة جنوب المغرب مروًا على تابلبالت وخنك وادي الساورة، وهذا الطريق سلكه الشيخ عبد الرحمان التنلاني[53] في ذهابه إلى الحج انطلاقًا من تانلان، تمنطيط إلى فزان[54].

وفي هذا الطريق يشاركهم فيه ركب الحج الشنقيطي حيث يعتبر الركب الشنقيطي من الأركاب المغاربية التي تمر بالصحراء الجزائرية بأقصى الجنوب، وتعتبر رحلة الحاج البشير البرتلي[55] (1785م) أقدم رحلة مدونة خرجت من بلاد شنقيط[56]، فرحلة الحاج البشير البرتلي أعطت الكثير عن صحراء تازروفت في الصحراء الجزائرية، فهي تعد بحق المصدر العربي الوحيد الذي تطرق إلى هذا الإقليم من الجزائر في العهد العثماني، بحيث يذكر أن هذه الصحراء لا تسلكها القوافل إلا نادرًا وخاص في فصل الصيف، وهي أخطر وأصعب مرحلة بين أزواد وتوات، فصحراء تازروفت أرض حصوية خشنة مستوية لا شجر فيها ولا نبات ولا حيوان[57]

فالبرتلي يذكر أن الركب انطلق من ولاتة يوم 25 صفر 1204هـ/1785م إلى تنبكتو في مالي ليتجه شمالا إلى توات، مرورا بقرية المبروك وبوجبهة إلى توات التي تعد محطة هامة لركب الحجيج القادم من بلاد شنقيط[58]، من أجل الالتقاء مع الركب التواتي والمغربي لمواصلة الحج عن طريق تيدكلت إلى فزان، فهذا التكتل المغاربي يعطي قوة للركب من جوانب شتى وخاصة في زرع الرهبة في قلوب قطاع الطرق واللصوص، بحيث يصل إلى ألفين جمل مقسمة إلى مائة جمل على كل فرقة أميرا للركب[59]، حيث قطع الركب الشنقيطي هذه المرحلة الصعبة في مدة أسبوع كامل ليصل الركب إلى أول منبع مائي، على مشارف قرية

ولن، في إقليم توات التي تعتبر مركز إستراحة للركب، ومن تم مواصلة الرحلة الحجية مع الركب التواتي عبر مسلك مدينة عين صالح في إقليم تيدكلت إلى فزان في ليبيا[60].

أما عن مميزات الطريق الجنوبي الصحراوي بشقيه العلوي والسفلي فهو المفضل لدى الحجاج وخاصة جزءه الغربي لأنه يحتوي على شبكة من طرق القوافل التجارية كما أسلفنا، فهو يمر على توات التي هي مجمع القوافل التجارية الآتية من تومبكتو وبلاد اكيدز وخاصة القادمة من السودان المحملة بالذهب، فتوات يرخص فيها سعر الذهب، بشهادة الرحالة أبو سالم العياشي في قولة: "...لما غلا الصرف الذهب في تافيلات أخروا الصرف إلى توات فإن الذهب فيها أرخص، وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر...وهي مجمع القوافل آتية من تنبكت"[61]، كما تعتبر مدينة وركله حاضرة تجارية مهمة بالصحراء الجزائرية من حيث النشاط التجاري ورواج البيع والشراء فيها بوصف أبو سالم العياشي في قوله:" إلى جانب كثرة الواحات ووجود الماء والكلأ خاصة في الطريق العلوي الرابط بين توات ونفزاوة[62]، أما جزءه الرابط بين توات وفزان فهو طريق تقل فيه الصعلكة وقطاع الطرق فهو فارغ، فابن مليح السراج في ذهابه ذكر أنه التقى بقبائل التوارق، حيث تعاطوا معهم البيع والشراء[63].

أما الصعوبات التي يواجهها الحجاج في هذا الطريق بمسلكيه فهي متعددة، فالمسلك الجنوبي شاق، خاصة بين توات وفزان مسيرة خمسين يوم متعبة، يعبر عنها ابن المليح السراج في قوله:"وقد انتفضت الجراب وعجزت الركاب، وماتت الرواحل لبعد المراحل وقد أشرف الناس فيها على المهالك"[64].

أما المسلك الثاني الذي سلكه العياشي كان هو الآخر محفوف بالمخاطر خاصة الطريق الرابط بين أوقروت وورقلة لكثرة الرمل والزوابع الرملية، لهذا اكترى أمير الركب دليل ليدلهم على الطريق ومعاطن المياه، ومع هذا لقي الركب صعوبة في السير وخاصة في الطريق الرابط بين قرية والاّ[65] والمنيعة، حيث يقول العياشي: "... نزلنا يوم العاشر على قرية يقال لها والاّ، بعد قطعنا قربها رمالا كثيرة يحار النظر في كثرتها وصعوبتها، وقاسينا منها شدة ولقيت الإبل أضعاف ما لقينا"[66]. أما المسلك الرابط بين المنيعة وورقلة بوصف العياشي أيضاً :"فهي أرض حرشاء جرداء لا علم فيها، مزقت من حروشها النعال وتأثر حوافر البغال والإبل، ولقي الركب فيها الجوع والعطش"[67].

واسترسل العياشي يصور ما كابدوه بصعوبة تلك المسالك والزوابع الرملية التي طمست معالم كل شيء فعميت الأبصار وغاب النظر بحبات الرمل، حتى أصبح الرجل لا ينظر إلى أخيه، وطال بهم الضرر أربع ليالي متواصلة حتى كاد أن يهلك الحجاج بنفاذ المأكل والمشرب وشدة الكرب مع تلك العواصف الهوجاء، حتى أن الكثير منهم ضنوا أنهم لن يصلوا إلى ورقلة وأن الموت سيلاقونه في هذه البقاع[68].

من خلال ما تم عرضه نستنتج أن مسارات ركب الحج داخل الإقليم الجزائري كانت بمثابة منافذ، يسلكها الحجاج الجزايون، وهي الطريق المحاذية للبحر الأبيض المتوسط، مروراً بتونس وطرابلس الغرب ومصر. بينما استخدمت الطريق الجنوبية الصحراوية عبر إقليم فزان من قبل حجاج الصحراء الجزائرية.

ولكن لا يفوتنا الإشارة لأمر مهم بخصوص أمن هذه المسالك لا نجرم جزماً تاماً باستتباب الأمن فيها ولكن يمكن القول أنها أكثر أمان من الطريق العرضاني الأوسط، وما يثبت هذا ما أشار إليه العياشي في كلامه عن

بلاد أوكرت(أوقروت) –خلف قرى توات –حيث يروي قصة قطاع الطرق من أعراب تلك النواحي بقوله:" نزلنا بقرى الدغامشة[69] قرب زاوية سيدي عبد الله ابن طمطم[70]، وانه من أهل الخير والدين، يطعم الواردين عليه في بلاد كاد الطعام أن يكون فيه دواء...ومما تواترت به الأخبار عن هذا السيد أنه لا يترك أحد من الأعراب ذلك البلد يأكل طعامه، فإن لم يشعر به حتى جلس بين الناس أقامه، ويقول لهم هؤلاء اللصوص لا أتركهم يأكلون طعامي يستعينون به على ظلم المسلمين"[71]، وبالتمعن فيما قيل في هذا النص وما يلفت الانتباه قوله :" في بلاد كاد الطعام أن يكون فيه دواء"، دليل أخر على تفشي الجوع في تلك البلاد الصحراوية، فدفعت الحاجة للبعض منهم كالأعراب، ضعاف النفوس للسرقة وسلب أرزاق الناس لأجل الغذاء.

أما زمن الرحلات الحجية بتلك المسالك والطرق الصحراوية الجنوبية، فيغلب الظن أنها في نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الربيع، وهذا ما تثبته الشواهد التي صورها كل من ابن مليح والعياشي فيما يخص الماء والعشب وتفتح الأزهار بعض النباتات مثل نبتة الرتم لها زهر أبيض على وصف العياشي وهي تتفتح في بداية شهر فيفري[72].

- **خاتمة:**

ومما تقدم نستنتج جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- إن مسارات ركب الحج داخل الإقليم الجزائري كانت بمثابة منافذ يسلكها الركب الجزائري للوصول للطريق المحاذي للبحر الأبيض المتوسط، مروراً بتونس وطرابلس الغرب ومصر، فيما استخدمت الطريق الجنوبية الصحراوية عبر إقليم فزان من قبل حجاج الصحراء الجزائرية.
- إن أكبر خطر كان يتهدد الحجاج في رحلتهم بالجزائر هو الاعتداء على ركبهم وسلب أموالهم وأرزاقهم من طرف بعض قبائل البدو الرحل، التي أصبحت تفرض عليهم ما اعتبرته " عوائد الطريق" مقابل عدم التعرض لهم بسوء. لقد سادت تلك الممارسات المشينة بأساليبها الماكرة جل مقاطع الطريق، ولم يجد الحجاج سبيلاً لدرئها سوى جهودهم الخاصة في حماية ركبهم، في ظل عجز الدولة العثمانية عن تأمين جميع المسالك.
- إن رحلة الحج الطويلة كانت محاطة في ذلك العهد بجملة من التحديات والصعوبات، مثل إكراهات الطريق الطبيعية، من بعد وبرد وحرارة وعطش، وتضاريس شاقة يصعب على الرواحل اجتيازها، كل ذلك جعل الحجاج يأخذون احتياطاتهم للتأقلم مع ظروف الطبيعة القاسية من موسم لآخر ويبدعون في إيجاد أساليب ناجعة لمواجهة مستجداتها .
- يعتبر الماء ذو أهمية كبيرة في تشكل الحواضر الصحراوية، فتكونت لذلك مسالك وطرق بين هذه الحواضر، وبسبب دقة الرحالة بالضبط الزمني لتنقلاتهم بين الحواضر الصحراوية تم التعرف على الفترة الزمنية التي تسلكها الرواحل في الطريق العرضاني الأوسط والتي تسلكه القوافل الحجية القادمة من سجلماسة وفاس ومراكش في غضون 40 يوما والأمر نفسه ينطبق أيضًا مع الطريق العرضاني الصحراوي بوصف العياشي في جزئه العلوي الذي يقطع في أكثر من 80 يوم.

وما يقال في ختام ما قيل أن الموضوع ما زلت أعتبره بكراً يحتاج للمزيد من نفض الغبار على العديد من الرحلات التي وطئت أقدامها أرض الجزائر بتلها وصحرائها، لتتضح طرق ومسالك أركاب الحجيج ويفصح عن أهم المدن والحواضر بها ويستفاد من معينها الذي لا ينضب، في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ليكتمل البناء التاريخي لهذا الإقليم في الفترة الحديثة من تاريخها العريق .

---

[1]-أما عن طريقة تأليف ركب الحج، وإسناد الإمارة فيه. ينظر: الورثلاني الحسين بن محمد(ت1193هـ/1779م)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار "الرحلة الورثلانية"، تصحيح: محمد بن أبي شنب، الجزائر: مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1908م، ص ص: 4 ،5، 7، مختار بن طاهر الفيلالي، رحلة الورثلاني (عرض ودراسة)، باتنة: دار الشهاب، ط: 1978م، ص: 84.

[2]-الورثلاني، المصدر السابق، ص:28، مختار بن طاهر الفيلالي، المرجع السابق، ص:83.

M. Hadj-Sadok, M.Hadj-Sadok, A Travers la Berbérie Orientale du XVII[e] Siècle, avec le voyageur Al-warthilani, Revue Africaine, Société Historique Algérienne, 1951, p : 342 .

[3]-وقد أستشهد بأبيات في هذا المقام: البحر صعب المرام جداً لا جعلت حاجتي إليه

أليس ماء ونحن طين فما عسى صبرنا عليه

ينظر: أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، بيروت: دار الصادر، ط: 1968م، ج1، ص: 33.

[4]- **صرة الحرمين الشريفين:** هي الأموال المخصصة للحرمين الشريفين من قبل مؤسسة الحرمين الشريفين الوقفية بالجزائر العثمانية والتي توجه إلى فقراء مكة والمدينة المنورة، عن طريق مبعوث شريف مكة أو بواسطة أمير ركب الحج ولضمان وصول المداخيل إلى الحرمين الشريفين وجدت قوائم مفصلة لأنواعها ترسل باسم داي الجزائر، وتختم بختم الحرمين الشريفين دلالة على وصولها كاملة بعد عودة وقد الحجيج إلى الجزائر العثمانية. ينظر: بوسعيد عبد الرحمن، **الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر**، إشراف: دحو فغرور، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، السنة الجامعية: 1432هـ- 1433 هـ/ 2011-2012م، ص: 31 .

[5]- ينظر: جوزيف بتس، **رحلة جوزيف بتس(الحاج يوسف) إلى مصرومكة المكرمة والمدينة المنورة)**، مصر: الهيئة المصرية العامة، ط:1995م، ص ص:7، 21.

[6]-احمد بوسعيد، **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد الصالح حوتية، جامعة أدرار، الجزائر، 2018م، ص : 128.

[7]- احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص: 128.

Ben Messaib, , Itinéraire de Tlemcen a la Mekke, (XVIII[e] siècle),par: Mhammed Ben Cheneb, Revue Africaine, Année: 1900, pp: 276-278.

[8]- **الورثلاني:** ولد صاحب هذه الرحلة الجزائرية الحسين بن محمد السعيد المعروف بالورتلاني نسبة إلى قرية بني ورتلان، قرب بجاية سنة(1125هـ/1713م) ينتمي هذا الرحالة إلى أسرة عربية شريفة اشتهرت بالعلم والتصوف والتدريس والإصلاح والتأليف والإفتاء، تربى فيها في مهد والده وجده بزاويته وزوايا أخرى على يد مشايخ بلده، ولكي تكتمل تلك الثقافة كان عليه أن يشد الرحال إلى المراكز العلمية المشهورة، فاغتنم فرصة سفره للحج ووثق صلته بعلماء تونس وطرابلس ومصر والحجاز فدرس عن علمائها فأجاز واستجاز، ليصبح الورثلاني علماً من أعلام عصره في القرن الثاني عشر هجري (الثامن عشر ميلادي). وقد خلف عدة مؤلفات وشروح ضاع أكثرها، ومن أشهر مؤلفاته رحلته المسماة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، المعروفة ب "الرحلة الورتلانية" كما له شرح على "المنظومة القدسية" للشيخ عبد الرحمن ألأخضري في التصوف وشرح على "الخطبة الصغرى" للسنوسي، التي وضعها على شرح السنوسي. ينظر: الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، **نزهة الأنظارفي فضل علم التاريخ والأخبار(الرحلة الورثلانية)**، تصحيح: محمد بن أبي شنب، جزائر: مطبعة بيير الشرقية، ط: 1326هـ/1908م، ص ص: 85، 308، مخلوف، شجرة النور الزكية، ابن مخلوف محمد (ت1360هـ/1941م)، شجرة النور الزكية في طبقات الملكية، بدون طبعة، ص ص: 357، 418، مختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورثلاني (عرض ودراسة)، ص: 16.

[9]- **مجاجة:** بلدة قرب مدينة شلف، تبعد عنها ب10 كلم، غرب الجزائر العاصمة، ابن عمّار، **أشعارجزائرية**، تح: أبو القاسم سعد الله الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط: 1988م، ص: 108، ينظر: الملحق رقم (12)، ص: 476.

وصاحب الرحلة هو عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، عاش خلال القرن (11هـ/17م)، حسب ما جاء في البيت الأخير من القصيدة، المؤرخ في سنة (1063هـ /1652م)، أصله ومنشأه، من بلدة مجاجة الواقعة قرب مدينة الشلف. من شيوخه المصريين كعلي الأجهوري، وأبو سلطان المزاحي، وعامر الفوال، وأبو عمر الصامت. ومن الجزائر أخذ عن أبي القاسم الصالح القاطن بمدينة مقرة. وربما يكون من شيوخه أيضاً أحد أفراد عائلة محمد بن علي ابهلول الذين رافقوه في ركب الحج كالشيخ أبو الحسن علي، وعبد القادر الجيلالي، وأبو علي والسيدة عودة أبناء محمد بن علي أبهلول. تعتبر رحلته المنظومة في 470 بيت المعروفة ب"رحلة المجاجي" مؤلفه الوحيد المعروف عنه. ينظر: المجاجي عبد الرحمن بن محمد بن الخروب (1063هـ/ 1652م)، رحلة المجاجي، تح: سعاد آل سيد الشيخ، مراجعة وتقديم: قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط1: 1439هـ/ 2017م، ص ص: 19، 23، سعاد آل سيد الشيخ، رحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب بن الخروب المجاجي نموذج الرحلة الحجية النظمية خلال القرن 11هـ/ 17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية،الجزائر، العدد 20، ص ص : 201،215.

[10]- **المصعبي (ت1232هـ/ 1817م):** هو أحد شيوخ الإباضية ومن علمائها البارزين بوادي مزاب، كان له جهود في التفسير وشرح الحديث وكتابة السير وفي علم المنطق وغيرها، تولى منصب الإفتاء والتدريس والوعظ ورئاسة مجلس العزابة ببني يسجن، من أهم مؤلفاته " المعدن المصون على سورة الكنز المدفون"، "مختصر المناسك ومهذب المسالك"، ينظر: إبراهيم بن بحمان المصعبي، **رحلة المصعبي**، تح: يحي بن بهون حاج أمحمد، غرداية: Mondial Print Service، ط1: 2006م، ص ص: 26، 41.

[11]- **العياشي(1037هـ/1628م-1090هـ/6791م):** هو العلامة والرحالة المغربي الشيخ أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي البلد، المالكي المذهب، الفكيكي النسب، وتزرفتي المنشأ، علاوة على كونه شريفاً ادريسياً، ولد بقبيلة آيت عياش، قرب تافلات (شعبان 1037هـ /ماي 1628م). تتلمذ على يد على يد محمد بن ناصر الدرعي ، عبد الرحمن بن أبي القاسم بن القاضي و عبد القادر ابن علي الفاسي الذي أجازه سنة 1063هـ /1653م. ومن المشرق أخذ عن علي الأجهوري، والشهاب الأفندي. من مؤلفاته: الرحلة العياشية الكبرى والصغرى، منظومته في البيوع وأخرى في التصوف والسنة. ينظر: محمد صالحي، الكتابة من الذاكرة من خلال النفحة المسكية في السفارة التركية للتمجروتي، **أبحاث ندوة الرحالة العرب والمسلمين: اكتشاف الذات والآخر**، ديار الإسلام من الأندلس إلى إستانبول، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1:2009، ص: 265، أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، **رحلة العياشي الحجية الصغرى**، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ص1: 2013، ص: 15.

[12]- Shaw, L'Algérie Un Siècle avant l'Occupation Française (Au 18 e siècle), Témoignage de Shaw, traduit de l'Anglais par : J . Mac . Carthy. Paris : Editions Imprimerie de Carthage. 2 e édition, 1968, p : 221, 225.

[13]-الورثلاني، الرحلة الورثلانية، ص ص: 81، 86،85،88، العياشي عبد الله بن محمد (ت 1090هـ/1679م)، الرحلة العياشية (1661هـ/1663م)، تحقيق: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، الإمارات العربية المتحدة-أبو ظبي:دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1: 2006م ، ج1، ص: 127.

[14]- يصفها عبد الرحمن المجاجي بمصطلح الدواب. ينظر: المجاجي عبد الرحمن بن محمد بن الخروب (1063هـ/ 1652م)، رحلة المجاجي، تح: سعاد آل سيد الشيخ، مراجعة وتقديم: قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط1: 1439هـ/ 2017م، ص: 140.

[15]- ينظر: الدرعي أحمد بن محمد بن ناصر الجعفري (ت1129هـ/1716م)،" الرحلة الناصرية " مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة)، تحت رقم: 1954، و36و، مختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورتلاني (عرض ودراسة)، ص: 89.

[16]-ينظر: مختار بن طاهر فيلالي، المرجع السابق، ص: 87.

[17]- عبد الرحمن المجاجي، المصدر السابق، ص: 141.

[18]-شكا المجاجي قلة الأمن ببلاد المغرب على الخصوص، وقد كان أمراً متعارف عليه آنذاك لذلك كانوا يكترون الخفارة، أو حماة الركب، ينظر: المجاجي، المصدر السابق، ص: 142، الدرعي، المصدر السابق، و31 و، و 66 ظ، و33 و.

[19]-ينظر: المكناسي محمد بن عبد الوهاب(القرن 12هـ/18م)، رحلة المكناسي (1785م) إحراز المعلى و الرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، تحقيق: محمد بوكبوط، الإمارات العربية المتحدة-أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1: 2003 م، ص: 331، الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص: 169، أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص: 128.

[20]- وهذا على خلاف ركب الحج المصري فإنهم كانوا يمشون ليلاً، ويستريحون بالنهار، كما أورد ذلك الورثلاني في رحلته. ينظر: عبد الرحمن المجاجي، المصدر السابق، الأبيات رقم(30، 166، 456، 459)، و1 ظ، و4 ظ، و11 ظ، ص:142، الورثلاني، رحلة الورثلاني، ص ص: 228، 382.

[21]- ينظر: عبد الرحمن المحاجي، المصدر السابق، ص:210 ،أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص: 129

[22] أحمد بوسعيد، **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م)**، ص:130.

[23] _محمد المنوني، **من حديث الركب المغربي**، المغرب(تطوان):مطبعة المخزن، ط: 1953م، ص ص: 8، 9.

[24] أحمد بوسعيد، طريق الصعاليك في روايات الرحالين المغاربة خلال القرنين 11هـ- 12هـ/ 17م-18م، عن مؤتمر البحوث والدراسات الإفريقية، السودان: مؤتمر طرق الحج بإفريقيا، ط:2016م، ص:01.

[25] **بوسمغون:** تقع في الجنوب الغربي الجزائري في ولاية البيض، تبع 160كم عن مقر الولاية، تقع بين خطي عرض 32-33 درجة بالقرب من خط غرينتش، وهي بلاد ذات أشجار ومياه بمنطقة الظهرا نواحي البيض، سميت باسم شيخ من الأولياء الصالحين حل بها وهناك قبره، وبها ناس ينتسبون إليه، والبلدة ذات عنب حسن تضرب به الأمثال في هذه البلاد، وغيره من الأشجار قليل. ينظر: العياشي، المصدر السابق، ج2، ص:548، الحضيكي، المصدر السابق، ص:83 ، محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى المصدر السابق، ج1، 193. منى دحماني: **قصر بوسمغون بولاية البيض دراسة أثرية تحليلية"**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، إشراف علي حملاوي، 2005/2004، ص:13.

[26] **عين ماضي:** مدينة تقع جنوب جبل رداد وهي جزء من سلسلة جبال العمور، تبع مسافة 72 كم غرب مدينة الأغواط، ونحو 472كم جنوب العاصمة الجزائر، وهي إحدى دوائر مدينة الأغواط، وهي بلدة عامرة بأهلها، وغالبهم شرفاء من أهل البيت من قبيلة بالظهرا تعرف بالتجاجنة، يحفظون القرآن وتقدم في أسلافهم العلم. ينظر: محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، المصدر السابق، ج1، ص ص:203،204، الحضيكي،المصدر السابق، ص ص:83،84. التلمساني بن يوسف: **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي في الجزائر(الحكم العثماني- الأمير عبد القادر- الإدارة الاستعمارية) (1782-1900م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير تاريخ حديث ومعاصر، إشراف الأستاذ: نصر الدين سعيدوني جامعة الجزائر، إشراف: 2003، ص ص:57، 58.

[27] **الأغواط:** تقع على نهر مزي الذي يتخذ منابعه من جبل عمور، وينتهي بعد أن يحمل اسم الجدي ملغز جنوبي قسطنية، ينظر: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر: المكتبة الوطنية للكتاب: ط: 1983م، ص: 51.

[28]-**الخنقة:** قرية بضواحي مدينة بسكرة، تبعد عنها ب95كلم، وهي ذات نخيل وأشجار، وهي وسط واد بين جبلين وقد وصفها حسين خوجة بأنها معروفة :" بالعلم وبتخريجها لمشايخ كرام، وعلماء أعلام...ذائعة الصيت في الأماكن الغربية "، وبأنها " مقر الصلحاء"، وقد عرفت زاويتها بوظائف اجتماعية، إلى جانب وظيفتها العلمية، في تلك الأماكن الخالية، فقد كان يأوي إليها الفقراء والمساكن. ينظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس: منشورات كلية دعوة الإسلامية، ط1: 1989م، ص: 216، الورثلاني، الرحلة الورتلانية، ص: 117، أبو القاسم سعد الله، زيارة لخنقة سيدي ناجي، ضمن مجلة سيرتا ، قسنطينة، مطبعة البعث السنة الثانية، العدد:03، رجب(1400هـ/ماي1980)، ص: 113.

[29] أحمد بوسعيد: **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني**، المرجع السابق، ص: 129.

[30] مثل: العياشي في رحلته والدرعي والسجلماسي وابن عبد السلام وغيرهم تقريباً كلهم اتفقوا في هذا الشأن.

[31] ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري (ت 1239هـ/ 1823م)، **الرحلة الناصرية الكبرى**، تح: المهدي الغالي، ط: 1434هـ/2013م، المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج1، ص ص: 187، 206، 280، أبو العباس الهلالي السجلماسي (1114هـ/ 1175هـ)، **التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام**، تح: محمد بوزيان بنعلي، تقديم: أحمد بوحسن، وجدة: مطبعة الجسور، ط1:2012م. ص ص: 135، 136، 144.

*-كالسمن والخل والزيت واللحم وغيره، ينظر: الدرعي، الرحلة الناصرية، و30 ظ.

[32]-عبد الرحمن المجاجي، المصدر السابق، الأبيات رقم (168، 205، 243، 262، 267، 305، 412، 416)، ص ص: 197، 201، 205، 207، 210، 211.

[33]-أبو العباس الدرعي، المصدر السابق، و36 و.

[34] أبو العباس السجلماسي، المصدر السابق، ص:131.

[35] عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج2، ص: 902.

[36]الشرقي الفاسي محمد بن الطيب، **الرحلة الحجازية**، تح: نور الدين شوبذ، أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة: دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1:2014م، ص:98.

[37] عبد الرحمن المجاجي، المصدر السابق، البيت رقم (410)، ص: 219.

[38]المصدر نفسه، البيت رقم (425، 426، 427)، ص ص: 220، 221.

[39] عبد المجيد قدوري، **ابن أبي محلى الفقيه التأثر ورحلته الأصليت الخريت**، د ط، منشورات عكاظ، الرباط، 1991م، ص:94.

[40]- المصدر نفسه، ج2، ص:548، 549.

[41]- السجلماسي، المصدر نفسه، ص:154،167، المصعبي، المصدر السابق، ص: 68 .

[42]-ابن بحمان المصعبي(تاريخ الرحلة: 1196هـ/ 1783م)، المصدر السابق، ص: 68.

[1] -Goorges Hertz, **L'algerie nomade et Ksourienne 1830-1954**, L'imprimer A. Robert, Marseille, 1989, P131 .

[43]-أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م)، المرجع السابق، ص: 130.

(44) رشيد حفيان، **الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين (11-12هـ/17-18م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. خليفة حماش، جامعة قسنطينة، 2014م، ص:21.

(45) أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م)، المرجع السابق، ص: 130.

(46)**القليعة (المنيعة):** وهي قرية حصينة على حجر صلد في سفح جبل منقطع عنه، وبها آبار كثيرة طيبة الماء، ونخيل ليس بكثير، وهي من طاعة سلطان واركلا. وسكانها يسمون الشعانبة، والمسافة بين المنيعة وورقلة، مسيرة خمسة أيام. ينظر: العياشي، المصدر السابق، ج1، ص: 111، ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 91.

(47) **ورقلة:** حملت مدينة ورقلة عدّة أسماء من بينها ورجلان ووركلة ووركلي، وبخصوص التّسميّة حسب الرّوايات المحليَّة المتداولة في الأوساط الشعبيَّة الكلمة متكوّنة من شطرين: "الوير" والّتي تعني الأسد باللغة الورجلانية القديمة و"انجلا " والّتي تعني ذهب وزال، وقد أطلقت هذه الكلمة وشاع استعمالها بعد نجَّاح سكَّانها في القضاء على الأسد الذي كان يحاصر المنبع المائي الخاص بالمدينة، ويلتهم كل شخص يقترب منه، لذلك اتَّفقوا على القضاء عليه، وبعد نجَّاحهم قيل:" الوير انجلا" أي الأسد ذهب أو زال، وبمرور الوقت واختلاف الألسنة أصبحت تنطّق ورجلان أو ورقلة. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون :كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ب. ط، دار الفكر، لبنان، 2000، ص:134، أحمد ذكار: حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي 1883-1591م، مذكرة تخرج لنيل الماجستير، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2009/2010م، ص: 8. فوزية عراز: **مسالك الحجاج المغاربة من خلال بعض الرحلات المغربية (الرحلات الحجازية)**، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الجامعة الإفريقية العالمية، السودان، 2016م، ص:160.

(48) **دغامشة:** هي مجموعة من القصور على بعد 20كلم غربي دلدون. ينظر: مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م، ص70.

(49) ابن مليح، **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب وإلى منتهى الآمال والمآرب سد الأعاجم والأعارب**، تح: محمد الفاسي، طبع وزارة الدولة مكلفة بالثقافة والتعليم، 1968م، ص:31.

(50) **تيديكلت:** إقليم توات وتيدكلت وقورارة يضم إقليم توات أقاليم ثلاث جهات محلية متباينة جغرافياً ومتمايزة ديمغرافياً، وهي قورارة في الشمال وتيدكلت إلى الجنوب الشرقي وتوات الوسطى أو تسوات الوسطى ،يقال تديكلت عند ابن المليح: وهي أسفل بلاد توات، على مسير ثلاث أيام من مدشر ان صالح(عين صالح)، أما عن قورارة فهي واحة على مساحة يوم من بلاد تيميمون، وتضم حوالي عشرين قرية. تسمى أيضا بتيكورارين أو تينجوراين، قصورها كثيرة تقارب المائة. عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ج07، ص: 77. ابن المليح، المصدر السابق، ص: 229، ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 94، أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص: 3.

(51) **كعبوش بومعين:** (طريق الحج الصحراوي المغربي من خلال رحلة ابن مليح)، **المجلة العربية للأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة الجلفة، مج12، ع1، جانفي 2010م، ص:231.

(52) **عين صالح:** يقال أن أصل التسمية تعود لأحد أولياء الله الصالحين قدم من الجنوب الشرقي للمغرب من جهة درعة تافيلالت، يسمى صالح جاء للدعوة لدين الإسلام، ولما كاد أن يهلك وأصحابه بهذه الأرض القاحلة، دعا الله فتفجرت عين ماء فسميت باسمه، وهذه البلدة تأتي بعد توات في أقصى الجنوب الجزائري، بعدها تأتي السودان. ينظر: ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص: 94.

(53) **عبد الرحمان التنلاني: هو عبد الرحمن بن عمر الأكبر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني**،ولد بتوات سنة 1181هـ، ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان، كنيته أبو زيد ، كان عالماً ماهراً في أصول الفقع والتفسير وكان حافظاً للمسائل ، من شيوخه: محمد بن عبد الرحمن بن عمر ومحمد بن أحميد الزجلاوي، من مؤلفاته: له قصيدة رثى لأحد شيوخه في 32بيت، توفي عام (1233هـ/ 1817م). ينظر: **رحلة عبد الرحمان بن دريس التنلاني التواتي الجزائري إلى الجزائر**، تح : مصطفى ضيف، محفوظ بوكراع، سلسلة رحلات جزائرية، دار المعرفة الدولية للنشر، ط1، تلمسان، الجزائر، 2011، ص ص: 223، 226.

أبو عبد الله محمد الحضيكي السوسي (ت 1189هـ)، **الرحلة الحجازية**، تعليق: عبد العالي لمدبر، الرباط: المغرب مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ط1: 1432هـ/ 2011م.

(54) سهام بومعزة، دراسة المخطوط، (رحلة حجية لعام 1188-1189هـ/1774-1775م)، عودة تأليف عبد الرحمان التلاني، **مجلة المخطوطات الثقافية**، مج13، ع01، مارس 1018م، ص: 353.

(55) **الحاج البشير البرتلي:** هو الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي، كان – رحمه الله- من عائلة علمية وكان أمين، بحيث كانت تودع عنده أمانات الناس، تولى القضاء، قام برحلة حجازية سنة 1785م ذكر فيها مراحل طريق الحج من بداية من بلاد شنقيط إلى الحرمين الشريفين مرورًا بتوات، لقي الكثير من العلماء والصالحين. ينظر: أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**.تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1981م، ص: 83.

(56) جلول بن قومار، (هاجس الأمن عند ركب الحج المغاربة)، **مجلة الحوار المتوسطي**، مخبر البحوث و الدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، سيدي بلعباس، مج8، ع2، ديسمبر 2017م، ص13.

(57) عمرو عبد العزيز منير عبد الرحمان بن محمد باعثمان، **طرق الحج الشنقيطي من خلال رحلة الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي المتوفي سنة (1214هـ/1800م)**، ص:07-08.

(58) مبارك جعفري، **التواصل العلمي بين منطقة توات بالجنوب الجزائري وحاضرتي ولاتة وشنقيط خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)**، مداخلة ضمن الملتقى الوطني حول: التواصل الحضاري بين الجزائر والساحل الإفريقي بين القرني (16-20م)، المنعقد بومي 15-16 أكتوبر 2017م، بجامعة الجزائر، ص:04.

(59) عثمان حساني، **البيئة الاجتماعية والإقتصادية لصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين (18-19م)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: بن يوسف سليماني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007/2006م ص:69.

(60) عمرو عبد العزيز منير عبد الرحمان بن محمد باعثمان، المرجع السابق، ص: 08.

(61) العياشي، المصدر السابق، ج1، ص:79.

(62) مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال الرحلات المغربية في العهد العثماني، ص: 25.

(63) ابن مليح: المصدر السابق، ص:32.

(64) نفسه، ص:32.

(65) **والاّ**: قرية ذكرها العياشي لم تعد موجودة اليوم بعامل زحف الرمال، حيث ذكر العياشي أن قربها رمال كثيرة وحتى أنه وجد بها نخلات وعائلة، للمزيد ينظر: رحلة العياشي، المصدر السابق، ج2، ص:107.

(66) **نفسه**، ص:107.

(67) **نفسه**، ص:125.

(68)ينظر: مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص:82.

(69)- **الدغامشة:** ضبطها ابن مليح بالعين(الدعامشة)، وسماها الإفراني في الصفوة الدغامسة، هي قرى كثيرة بقرب بلاد توات. ينظر: أنس الساري والسارب، المصدر السابق، ص: 30، محمد بن الحاج الإفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، المصدر السابق، ص: 169.

(70)- **سيدي عبد الله ابن طمطم:** هو أبو محمد سيدي عبد الله ابن طمطم الدغامسي من المشاهر هناك بالولاية والفضل، ينظر: الإفراني، المصدر السابق، ص: 169، محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج2، ص: 405.

(71) العياشي، المصدر السابق، ج1، ص: 80.

(72) رحلة العياشي، المصدر السابق، ج1، ص:128.